سلسلة

مقالب ½ الدنيا ٥

الحانوتى

بقلم : محمد المزاتى

رسوم : عمرو أمين

دار الرشاد

obeikandl.com

الناشـــــر : دار الرشـاد
العنـــــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــــون : ٣٩٣٤٦٠٥ - ٢٩٩٢٦١٥
رقـم الإيداع : ١١٣٧٤/ ٩٤
الطبـــع : عوبية للطباعة والنشر
العنـــوان : ٧، ١٠ ش السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفـــون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣
الطبعـة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م
الطبعـة الثانيـة : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م
الطبعـة الثالثة : ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الغلاف : عمرو أمين

obeikandl.com

يَبْدَأُ الإنسانُ أىَّ عملٍ يحبُّه كهاوٍ ثم تَنتَهى به الحالُ إلى الاحتراف تمامًا مثلما بدأ « ½ الدنيا » بطل حلقاتنا الشهير فى تدبير المقالب للنَّاسِ لإشباع هوايةٍ طاغيةٍ أو ميلٍ غريزىٍّ إلى الدعابة الثقيلة أو التهريج ، فنحن نذكر " مقلب القيامة " أو مقلب ليلة القيامة الذى أقنع من خلاله أهل قريته البسطاء بقيام الساعة فى السادسة واثنتى عشرة دقيقة تمامًا مثلما حَدَّث المُنَجِّمُ الهندىُّ فى الصحيفة ليبطل « إمام المسجد » حجته ويبين كذبها عند طلوع الشمس ، أما المقلب الثانى فى قصة « ½ الدنيا وعربة الإسعاف » فقد تسبب فى وفاة حامل طيبة أحبها أهل القرية جميعًا وكادوا يبكون فراقها دمًا من قلوبهم ، والثالث فى قصة (½ الدنيا و . . .) فَصُنْعِه لمكوك فضائىٍّ أو قمرٍ صناعىٍّ زَعَمَ به لأهل قرية بعد تنكره مع أصحابه فى شخصيات عملاقة أنه إنسانٌ أَخْضَرُ قد جاء بأمر العظيم « أوكتافيوس » قائد كوكب (زحل) أحد الكواكب السبعة المحيطة بالشمس لنقلهم فى قطارات فضائية بدوابِّهم وأدواتهم الزراعية لتعمير واستصلاح أراضى هذا النجم البعيد وترك أطفالهم على الأرض وعمل زيارات لهم كل عشرين عامًا مما روَّع القرويين وأصابهم بالهلع والذعر لتدمير حياتهم على تلك الشاكلة القاسية المهينة لكل عاطفة إنسانية وليتبض عليه المأمور فى اللحظة الأخيرة ويودعه مستشفى المجانين للكشف عليه مع أصدقائه على قواهم العقلية حيث تَنَكَّرَ فى ذلك المستشفى فى زى كبار القادة التاريخيين زاعمًا أنه (نابليون بونابرت) عبقرى الحروب ، وادعاء خصمه المريض بأنه (نيرون) الملك الأشهر الذى أحرق " روما " وقتل أمه ، فيحولون المستشفى بعد ذلك إلى معارك دامية إلى خرائب ويشعلون فيها النيران ويفرون هاربين بحيلة شيطانية إلى عرض الشارع !!

لقد كان ½ الدنيا فى حوادث تلك المقالب رغم شدة غرابتها لم يزل هاويًا بعد ، حتى إذا فرَّ من الماريستان أو مستشفى المجاذيب بَدَأَ مرحلةَ الاحترافِ ليمارسَ المقالبَ للحصول على النقود التى يعيشُ منها وَيُشْبِعُ رغباتِهِ ويقضى التزاماتِهِ ومتطلباتِ حياتِه : ولكن من أين أحصل على النقود . . . من أين أحصل على النقود ؟

فيما مضى كُنْتُ أَحْصُلُ عليها من والدى ، إلاَّ أَنَّهُ قد تَبَرَّأَ منِّى ومن أفعالى ، وكذا أهلى وقُطِعَتْ كُلُّ صِلَةٍ لى بالماضى !

* ■ *

مِنْ أيْنَ أَحْصُلَ على النّقُودِ ؟ من أين أحصل على النقود ؟

من أين . . . من أين . . . آآه .

هَا هِيَ النقودُ . . إنِّى أَراهَا أمامى !! هَكَذَا قال لِنَفْسِهِ وَهُوَ يسيرُ مَعَ رِفَاقِهِ بَعْدَ فِرَارِهِ من مستشفى المجاذيبِ وَهُوَ يَسِيرُ مُتَلِكأً فى الحىِّ التجارىِّ ،

ثم انْدَفَعَ إلى حانوتٍ كبيرٍ لبيعِ الموبيليا بَعْـدَ أَنْ أَمَرَ أَصْدِقَاءَهُ بانتظارِهِ على الناصيةِ !! .

لَقَدْ كان أمامَ المتجر جماعةٌ من الفلاحين يُسَـاوِمُونَ التَّاجِرَ فى ممانعةٍ وصياحٍ وأخذٍ وردٍ وتداولٍ على ثمنِ جهازٍ لعُرْسِ ابنهم الشَّابِّ ؛ على أملِ أن يُـخَفِّضَ التَّاجِرُ من العشرةِ آلاف جنيهٍ التى يَتَمَسَّكُ بها بِشِـدَّةٍ ، إلا أن التاجِرَ لا يريدُ أن يَتَزَحْزَحُ ! .

وَكَأَنَّـهُ قـادمٌ من كشكِ الْخِرْدَوَاتِ الملاصق للمتجـر سَـارَ على مهل وبثقـةٍ زائدةٍ دَخَلَ فى الحشـدِ الصـاخبِ المتسـاوم ، ثم بعد أن فَهِـمَ مُوجَـزًا لموضـوع الحديث الـدائر تَـدَخَّلَ بين الطـرفين ؛ لِتَسْهِيلِ إتمام الصفقة مُـدْخِـلاً فى يقين الفلاحين أنه ابن التاجر ، وفى يَقِينِ التاجِرِ أَنَّهُ أَخٌ لوالدِ العريسِ ! .

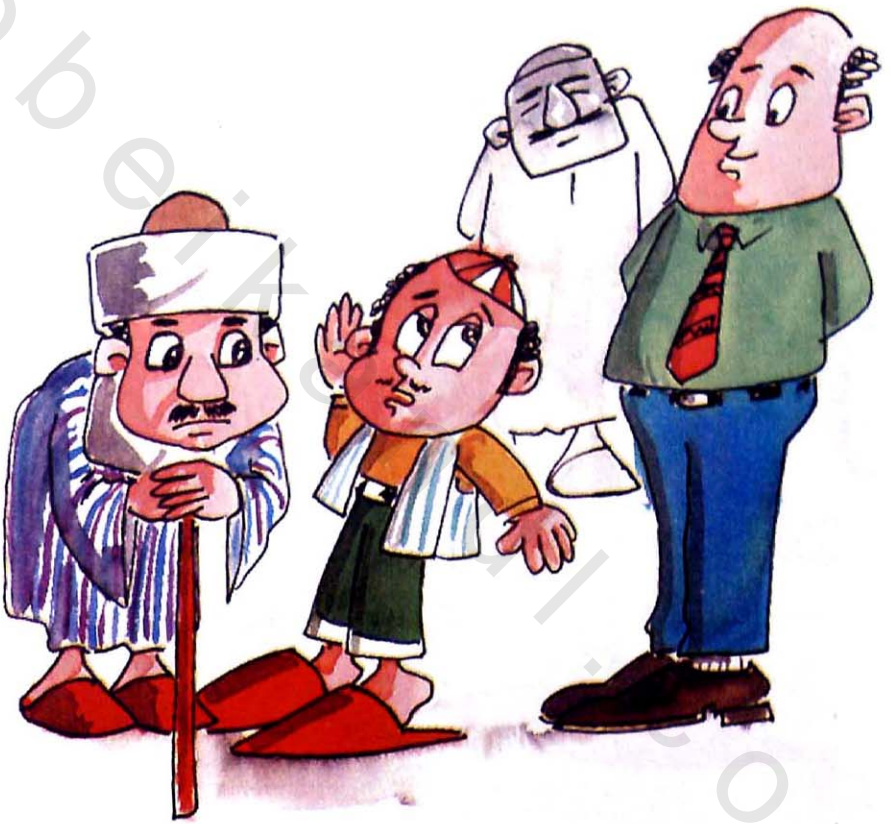

حتَّى إذا وَافَقَ التاجِرُ على تِسْعَةِ آلافٍ بَدَلاً من عشرةٍ قَبضَهَا من والدِ العريس ، وَوَضَعَهَا فى جَيْبِه دون اعتراضِ التاجِرِ ، على أساس أن الصَّفقَةَ سَتَتِمُّ عند تسليمِ المبْلَغِ إليه (أى التاجر) !! .

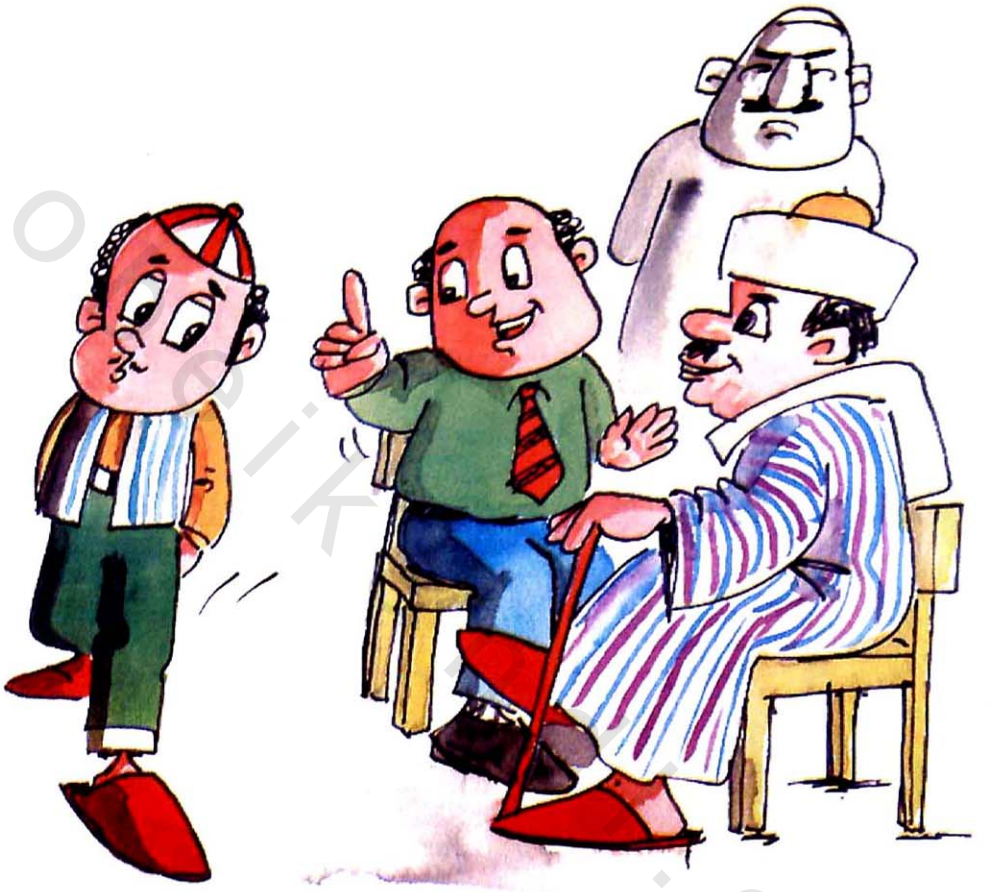

وهنا قال بصوتٍ عالٍ : إننا لم نحتس القهوةُ بعد . !

فابْتَسَمَ التاجِرُ قائلاً فى خَجَلٍ : حقًّا لقد ألهانا حَدِيثُ التجارةِ عن أَدَاءِ الواجِبِ اذهب يابنى إلى المقهى وقل لـ (شلاطة) الجرسون يحضر قهوة للجميع مع شاى بالنعناع على حسابى ، ثم أكمل مع شاى بالنعناع موجهًا حديثه لوالد العريس : أم تريد « كازوزه » ياحاج . . ؟

فقال هذا مازحًا : أنا وُلِدْتُ من بطن أمى وفى يدى فنجان قهوة فضحك الجميع ، وانْسَلَّ « ١/٢ الدنيا » إلى زملائه ليفر بهم كاليمامةِ فى شارعٍ جانبى !! .

بَيْد أَنَّهُ مَا إِن مَّـرَّ ربعُ الساعةِ حتَّى قال التاجرُ متعجبًـا لوالدِ العريسِ : إن أَخاك أبطأَ مع أن المقهى قريبٌ ! . فقال والد العريس : تقصد ابنك !! .

فرد مندهشًا : ابنى ؟ . إنى أقول : أخاك .

فَرَدَّ عليه : اسْمُ اللهِ عليك ياحاجُ ، أخى تركته فى المنصورةِ !! .

فقال التاجر متحيرًا : وأنا ابنى الوحيدُ ماتَ مِنْ سنتين .

فَصَاحَ الجميعُ فى ذُعـرٍ :

إِذَنْ مَنْ يَكُونُ هَذَا الشَّابُّ الذى كَانَ بيننا ؟ .

ثم ردّوا على أنفسهم : يبقى حرامى !! .

فانطلقوا جميعاً بدورهم كاليمامةِ إلى المقهى ؛ ليَسْأَلُوا النَّادِلَ (الجرسون) عنه ، فقال : إن رجلاً بما وصفتم جاء مسرعًا ليكلم خمسة من الجالسين فى لهفة وعصبية ، ثم فر بهم فى هذا الشَّارعِ الجانبى ، فاندفعوا يَرْكُضُون كالمجانين يَسْأَلُونَ القادمين دَونَ جدوى[1] حَتَّى لَمَحُوهُمْ فى نهايةِ الطريقِ كَقِشْرَةِ مَوْزٍ فأسرعوا للحاقِ بهم .

---

(١) دون فائدة .

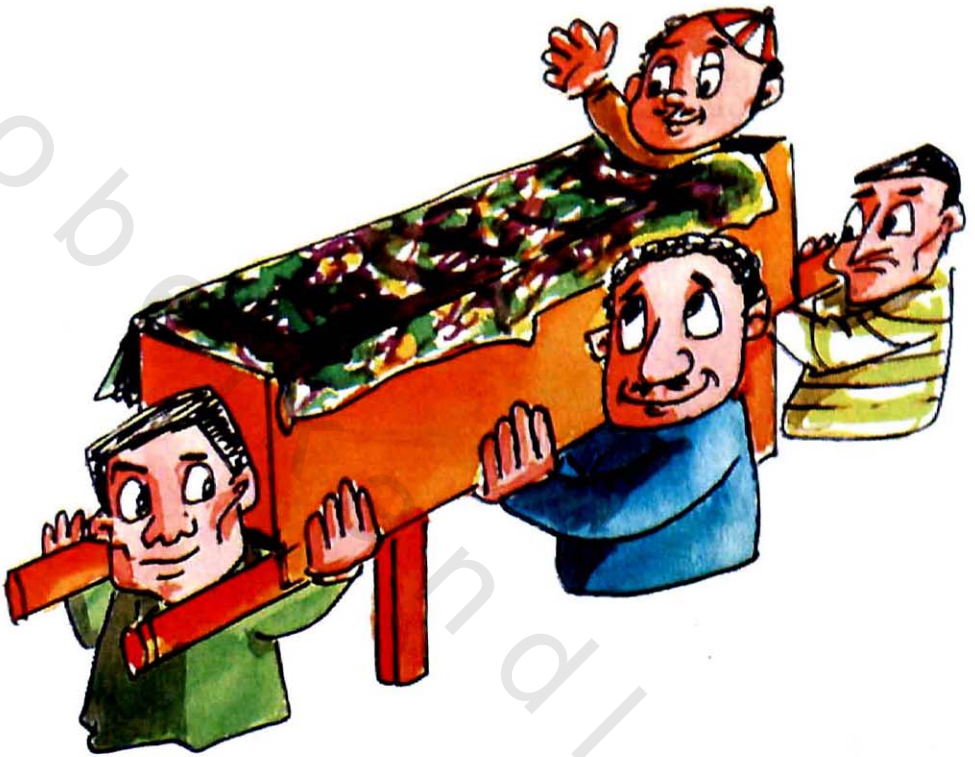

بيد أنهم (أى اللصوص) قـد انحرفوا فى شارع جانبى آخـر ثم جانبى مثله ثم اخترقوا ميـدانًا فحـارةً طويلةً متعـرجةً ليفـاجأوا بِوُجُـودِ نَعْشٍ[1] لميتٍ أَمَامَ إِحـــدَى دورها ، فَقَفَزَ « الـدُّنْيَا $\frac{1}{2}$ » فى الخشبة وحملتـه العِصَابَةُ على أَكْتَـافِهَا مستغلين صُعُودَ الحانوتى لإحضار المتوفى من الدورِ الرابعِ ! .

(١) وهو التابوت أو الخشبة أو الصندوق الذى توضع فيه جثة الميت .

وَتَصَادَفَ أَنْ كَانَ واحدٌ من صبيةِ الحانوتى يَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَة فى مَلَلٍ رِيثَمَا[١] يَتِمُّ تجهيزُ الميتِ حتى إذا لمح العصابةَ أبْلَغَ اللحَّاد[٢] فانطلق بصَبيته رَكضًا[٣] فى الشَّارعِ الذى اتجهوا فيه .

---

(١) ظرف زمان المقصود به : مدة من الزمن .
(٢) الحانوتى .
(٣) أى جريًا .

وَكَعَادَةِ أَفْرَادِ العصابةِ فى التَّخَفِّى من شَارِع جانبى لآخر ، فإنهم قد قابلوا جنازةً (حقيقيةً) لميتٍ مَحمُولٍ فى خشبة ؛ فَاختلطوا بهم وسارت الخشبتان والناس « يمصمصون شفاههم » على جانبى الطريق ! .

حَسْبَ العرفِ الجارى من تَبَادُلِ حَمْلِ الخشبةِ لإِرَاحَةِ السائرين بها بين لحظةٍ وأخرى ، فإن المشيعين قد أخذوا يتبادَلون حمل خشبة اللصوص ، واتجه اللصوص بعد لحظات لحَمْلِ خشبةِ الميتِ الحقيقىِّ ؛

فى الـوَقْتِ الذى وَصَلَ فيـه الحانوتى بصبيتـه وقد تَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُمْ جَرْيًا لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِمْ وَيَسْتَرِدُّوا خَشَبَتَهُمْ ، مما أَثَارَ أَهْلُ الميت ؛ فَأَمْسَكُوا بِهِمْ يريدون ضَرْبَهُمْ وَتَمْزِيقَهُمْ ، إلا أن الحانـوتى قـد أَصَرَّ على حقِّه بدعـوى أن بداخل الخَشَبةِ لِصًا !! .

كَادَتْ تحدثُ معركةٌ لولا أن تَقَدَّمَ بعضُ الغرباءِ باقتراحٍ خُلاَصَتُهُ : إنزال الخشبةِ لدقيقةٍ واحدةٍ على جانبِ الطريقِ وَكَشْفِ وَجْهِ الميتِ ؛ لإراحة الحانوتى ، إلا أنه عندما كُشفَ وَجْهُ الميِّتِ ، اتجه الحانوتى إلى الخشبة الأخرى يريد كشف ما بها هى الأخرى !! .

هنا صَاحَ اللصُّ الخامِسُ : هذه أُخْتِى المحترِقَةُ . . يا ناس . . ياهوه . . . يا أَهْلَ الشهامَةِ ، دى حرمة وكفاية اللى جرالها يا عالم ، فَتَقَدَّمَ قَصَّابٌ (جزار) مفتول العضلات يلوى ذراعه مُقسمًا بِاللهِ ألا يَكْشِفَ سِتْرَ شىءٍ بعد الذى جرى ؛ فالْتَفَّ صِبْيَةُ الحانُوتِى حَوْلَهُ ليقسم الثانى بِاللهِ مثله أن يكشف ستر الميتة !!

تَجَمَّعَ الناسُ فى الميدانِ الكبيرِ بالآلاف حول الخشبتين ؛ ليشاهدوا تطورات الحادث الغريب لتمر دوريةٌ بقيادة نقيب من الشرطة ليقتاد الجميعَ إلى القِسْمِ ،

وَيـأْمُرُ المأمـورُ بِكشْفِ الخشبـةِ المشْتبـهِ فيها فيقفـز (١/٢ الـدنيا) كثعبـانٍ مذعـورٍ وَسْطَ دهشةِ الجميع ولعناتهم فى الوقـت الذى يَصِل فيه تَاجِـرُ الموبيليا والفلاحون للإبـلاغ عَمَّا وَقَعَ لهم ، فيتعرفوا عليه ليحال هو وأصحـابه إلى النيابة ليأخـذوا جَـزَاءَهُمُ الـرادع ، عسـى أن يكـونـوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ مِـنْ اللصـوص والأفاقين[١] وفاقدى الضمير .

(١) الأفاقين : جمع أفاق وهو المنافق .